شفرة ألحان الخريف

خواطر نثرية



شفرة ألحان الخريف

خواطر نثرية

إيمان عبد الرحمن



اسم العمل : شفرة ألحان الخريف



اسم المؤلف و دولته : إيمان عبد الرحمن - مصر

تصنيف العمل الأدبي : خواطر نثرية

الترقيم الدولي : 9 - 4 - 85455- 977 - 978

رقم الإيداع : 3105 / 2019

رقم الطبعة : الأولى

تصميم الغلاف : محمد وجيه

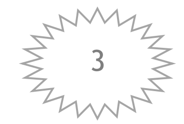
تدقيق لغوي : نجاح العالم السرطاوي

الناشر : دار ديوان العرب للنشر و التوزيع - مصر - بورسعيد

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : 00201211132879

www.dewanelarab.com : الموقع الرسمي للدار



مقدمة الكتاب

" شفرة ألحان الخريف"

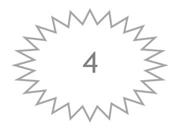
للكاتبة المبدعة : إيمان عبد الرحمن

ما شاء الله ، تبارك الله

من أروع الكتب التي تشرفت بتدقيقها و استمعت بكل حرف فيها و أسعدني ما وجدت فيها من تميز في موضوعاتها المختلفة و معانيها المؤتلفة مع غزارة في الإبحار و هطول في الأفكار

فكانت تتطاير نظراتي إلى ما بعد السطور و يحلق خيالي مشدودًا مبهورًا إلى هذا الإبداع الذي يناطح السحاب و يأخذ بالألباب

توقفت عند كل مقطع من المقاطع في هذه الباقة الساحرة من الخواطر لأستمتع بالصور البديعية و التشبيهات و الاستعارات و الكنايات و قد وظفت الكاتبة كلًا منها في مكانه المناسب تمامًا بلا زيادة و لا نقصان بسحر و فصاحة و رقيّ و إتقان



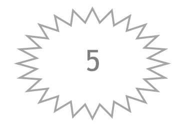
و أبهرني ما في هذه الروائع من طرح و تحليل و تركيب و تفصيل ثم بعد ذلك تأتي في آخرها بتلخيص جميل في جملة مختصرة مكثفة موجزة مفيدة فيها الحكمة و النصيحة و العبرة بأسلوب ممتع مشوق جذاب قل نظيره و ندر مثيله في هذا الزمان

في كل خاطرة تنويع و اختلاف مع حضور و ائتلاف بذهن صافٍ و شرح وافٍ ليسرح بي الخيال ثانية و أستحضر ما ذهب إليه تفكير الكاتبة و ما تريد منا أن نفهمه حين تطلق لحرفها العنان ليبلغ أقصى آيات الروعة و أبهى صور البيان

كتبت عن الفرح فأجادت و كتبت عن المدح فأشادت و كتبت عن الغزل فأسعدت و كتبت عن الحبِّ فأمتعت و كتبت عن الشّوقِ فأبهرت و كتبت عن الأم فأحسنت و كتبت عن الأب فأبدعت بلغة سليمة و تعبير فصيح اللسان

طرقت أبواب الإبداع فنالت، و قرعت مناهل التميز فطالت بحروفها المتألقة و كلماتها المتناسقة التي ترقرقت

روعة و سحرًا و بهاء



لم تترك لونًا من البلاغة إلا و طوّعت الحروف لإجادته و لم تترك صنفًا إلا و روّضت المداد لإثارته فكان الإبهار في أرقى صوره و أرقّ معانيه و في جميع الألوان

تميزت الكاتبة بالأسلوب الرقراق و الألفاظ الجزلة بمتانة في المبنى و رقّة في المعنى، فجاءت الألفاظ قوالب للمعاني بحيث استوفى كل عنصر حقه من الجودة و الروعة و الجمال و الكمال

أهنئك الأستاذة المبدعة إيمان عبد الرحمن على ما جاد به يراعك في هذا الإنجاز الرائع الذي زاد الأدب رقيًا و تميزًا و بهاء

أتمنى أن يحقق الله أحلامك و آمالك بالمزيد من الروائع و الإنجازات و الإبداعات لتكوني في المرتبة الأولى بين الأدباء

كل الشكر و التقدير لك بأن شرفتني بتدقيق حروفك و أن كرمتني بكتابة هذه المقدمة عساها أن تنول رضاك أيتها المبدعة

وفقك الله و رعاك و على طريق النجاح سدد خطاك

الأديبة : نجاح العالم السرطاوي

مقدمة الكتاب 2

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الكاتبة الرائعة إيمان عبد الرحمن

المبدعة التي جعلتني أغوص في أعماق الحروف سرقتني مني بإبداعاتها اللامتناهية من خلال قراءتي المتواضعة لهذا الكتاب

رأيت أن الكاتبة نثرت بذور الحب و الشر بذور الألم والأمل ومناجاة الروح وقوة القلب

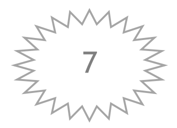
عزفت سمفونية الحياة

رحلت بأفكاري إلى تلك الجبال الشامخة كشموخ روحها وإحساسها ونقاء حرفها ....

لأبحث بين الأحلام عن عاشقة تهوى الحياة بكل عزم وإصرار

كتبت للوطن فهو حياة فكيف للمغترب أن يتنفس دون وطن

جعلتني أمشي أنا و ظلي نتخبط بالغربة وكلنا أمل بالعودة



للفصول الأربعة حكاية ولكن في هذا الكتاب جعلتنا نبحث عن فصل خامس لنستظل به و نتعدى باقي الفصول بالحب

الصدفة خير من ألف موعد

جميعًا نبحث عن صدفة لنجد ما نريد

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أقول هنيئًا لنا بك كاتبة متمكنة

واثقة جدًا بكل ما كتبت

وأتمنى لك التوفيق دائمًا وأبدًا

الأديبة : فادية محمد هندومة

****

الإهداءُ

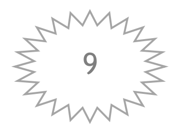
إلى العابرين في أرض الروح، الهائمين في صحراء التيه، النابضة قلوبهم بأنات الفقد، أسكب بين أيديكم عبرات، و أنسج لكم من جدائل الزمن كلمات ..

سنبحر مع مراكب العاشقين، و نصاحب الحيارى و نعبد لهم طريقًا يتلمسوا فيه الدفء .

من القلب ستخرج الحروف، و مع أبواق البوح ستلتئم الجروح، فما أقسى الوجع دون رفيق يتلمس أو صاحب يواسي

فها هي خواطري جبت فيها القلوب استخرجت منها المناقب و تحسست النفس، و ما زلت أغوص و أغوص كلما أخرجت أصدافًا تظهر لألئ فأعبئ منها ما أستطيع و أنثره بين أيديكم ضياء نور نتلمس به معًا وعورة الطريق ..

و مازالت النفس بحاجة لمن يكتشفها و يسبر غورها فجميعنا يتقلب بين أمرين لا ثالث لهما في ضوء الآية الكريمة



"و نفسٍ و ما سواها فألهمها فجورها و تقواها "

و هنا أفرغت ما في جعبتي في هذا الكتاب الذي أضعه بين أيديكم ليكون أول باكورة أعمالي عسى أن يؤدي الغرض و أن تجدوا فيه ما يسعدكم و ينول رضاكم

أهدي حروفي و كلماتي إلى أسرتي و أهلي و أصدقائي و إلى كل من ساعدني إلى أن يبرز هذا المولود إلى عالم الوجود ..

إيمان عبد الرحمن

****

بورتريهُ

أحببته عندما رأيته

أحضرت دفترًا و قلمًا

وبدأت أرسم وجهه

الذي ملأ كل الأشياء

حولي

كلما رسمت خطًا

يتوقف القلم إعجابًا بما خط

ومنذ ذلك الحين

أستبدل الدفاتر ولم أنته.

يحاصرني

خطوط غير مكتملة

عشق سرمدي !

****

إعجابٌ

كثيرًا تبادلا نظرات

الإعجاب عن بعد

فجأة تقابلا

تقاربا مرورًا ببعضهم

تلاشت معالم الطريق

مع تصاعد دقات قلبهما

تجاوزا كلا منهما الآخر

ثم التفت كلاهما خلسة

ابتسما

ثم ذهبا كلاً

في طريقه

للأبد

مفترق الطريق

لقاء الأعين

لا عودة !

صدفةٌ

و أحمل قلبي

وحقائب الانتظار

وأكثر من أسفاري

لعل صدفة ألقاك

على سلم إحدى الحافلات

تبحث في الوجوه عني

على سلم الحافلة

أبحث عن صدفة

لأراك !

****

طائرةٌ ورقيةٌ

يوم التقيتُك منذ

ألف عام

تحولت من امرأة

تخشى الناس

وعبور الطريق

إلى فارسة ثورية

وداعية للحرية

تحولت من امرأة

إلى طائرة ورقية ملونة

تعشق التحليق

الدائم خلفك.

منذ ألف ربيع

يحلق قلبي خلفك

لا تفلته !

يقظةٌ

للحلم نكهة عاشقة

تهوى الحياة

وأنا

وأنا الفتى المباهي

الطريق بخطوته

والحلم أول رحلته

في الليل أختار المكان

وأجوب المسافات للنهاية

والنهاية تكون يقظته

أنا وصمت الطريق

نعاند الزمن

هدفنا حلم !

****

كتابٌ

حياة الإنسان كالكتاب

كل يوم صفحة

هناك صفحات

يجب طيها

وعدم قراءتها

هناك صفحات

يجب نزعها

صفحة صفحة

تمر الحياة

بين دفتي كتاب!

****

بدايةٌ

إني ابتدعت الشعر

يوم زرعت للحبيب ورودًا

وقرأت كفوف النخيل

وغيمات السماء

وعزفت ألحان قوس قزح

وجعلت البنفسج لحن الوجع

وعلى ساق واحدة

غرقت في بحيرات البجع

وتلوت أناشيد الجراح

فالجرح حصيدة محبة البشر

في محبة البشر

كيف نزرع الورود

ونحصد الأشواك !

****

مجنونةٌ

سأظل كما أنا

تلك العاشقة التي تطوي

المسافات إليك

لن أملّ عشقك

وفي كل يومٍ سيزداد هيامي

فأنت باقٍ في

وأنا بك أكون

تغيب..تغيب

يرجعها الصدى

مجنونة كقصيدتي

****

رسمٌ

ورسمتها بحرًا

كي أظل سابحًا

كالحوت

في مائها

في عمقها

في ظلامها

و أبعد الصيادين صائحًا

هذه سواحلي !

****

تبجيلٌ

أمامك تذوب

كل الأزمنة

لا أدرك سوى

تسبيح لله على

بديع خلقه

وزاد إبداعه

حكمة وخلقًا

أتأمل بصمت؛

فالصمت في محراب

الجمال صلاة.

-هالة من نور حولك

أسبح لله ما أبدعه

خلقًا وخلالًا أجمع

****

بحرٌ

ثمة بحر يخفي هديره

يخفي انكسارات موجاته

علي شاطئ مدينته

هناك

أحلام

صبر

إيمان

انتظار

وتتوافد طيور الشتاء

بحثًا عن دفء

عن راحة لأ جنحتها المتعبة

عن مستقر للترحال

في البحر

نخفي الأسرار

فقط الأمل والتأمل

رؤيةٌ

و أراك ..

وسط غيمة هاربة

بلا مطر

أراك ..

بعين قلبي

لا قلب غيره لك يرى

أراك ..

ورؤياك أمل

تبعثر في الليالي واندثر

أراك ..

قد أضعت قلبي

وفي حبك أفنيت العمر

أراك..

حولي بكل الوجود

وتراني مثلي مثل البشر

أراك

-رؤية الحبيب

حلم يملأ البال

كيف لا يرى ذلك؟

****

أنا وأنتَ

أنا دمعة الوردة الذابلة

بين دفتي كتاب

قديم مهمل

وذلك التذكار القديم

الذي يعاني شروخ

الأزمنة وتراكم الأغبرة

وأنت وجه يزداد

قربًا رغم البعد

وغيمة قادمة محملة

بقطرات أمل تشتتها

الرياح وتباعدها

أنا وأنت

نبات يترقب غيمة

تتلاعب الرياح بهما !

ذكرى ألم

عندما تترجم الألم لكلمات

فإنها تختزل، و تصبح ذكرى

ما تلبث أن تنسى

لكن أقوى الآلام ما لم تجد

حروفًا تترجمها

ولا صفحات تتحملها

الصمت فقط يحتويها

وذكراها سياط تلهب

جدار القلوب..دائما.

في صمت

نحتوي ألم

ذكرى

****

نداءٌ

عودي لي

أشواقي لك

وكم حديث

أود قوله

يا عاجزًا عن النسيان

لا تلم جرحًا أبى أن يخمد نزيفه

كلما وجهت وجهك صوب غفوة

سكب الليل في عينيك طيفه

يا من تقاتل السراب بقيظ الروح

إن الحب يومًا لم يهدئ سيفه

غيابك حضور في جرح الذكرى

وما ذنب الحزن تستضيفه

لك ممحاة لكل ذكرى

سيورق بعد الذبول خريفه

-لاتبعد عنا

بالبعد لن تختفي

الأحزان !

****

تلاشٍ

والرسائل القديمة

ظلت بالأدراج

تنبض بالحنين

تحكي عن فوضى الغياب

و ضجيج الصمت

استكانت الأوراق لقيود الأغلفة

واستسلمت للرحيل

حرفًا..

حرفًا..

ح..

ر..

ف..

ا...

في طي الكتمان

رسائل تتلاشى

حرفًا حرفًا

بلا ألوانٍ

دائمًا المآسي تحفر نفسها

على جدار الذاكرة

بينما تلون السعادة الجدران

وحينما تمطر سحب الزمن

تذوب الألوان وتختفي

ويبرز الحفر قويًا واضحًا.

نتجول بينها كمعابد جنائزية

سرمدية الألم،

خالدة الأنين.

-على جدار الذاكرة

حفر حزين ملون

بالمطر

لا يبقى إلا الأحزان!

****

أجنحة حلمٌ

عندما كنا صغارًا ..

كم سألنا كل شمس أين تذهب

حين يطويها الشفق؟

كم حلمنا أن نصيد الشمس

من بحر الأفق

كان وجه الشمس أحلى

والنجوم كثمار تتدلى،

كم حلمنا ..

نقطف النجمات يومًا

نتسلى

كان فجر الطهر فينا ينجلي

كان يا قلبي `زمانًا ` ثم ولى

أحلام الصغار

تجوب العالم بأجنحة

تختفي عند الكبر !

أسطورةٌ

في دفاترنا القديمة

الف قصيدة وقصيدة

خليط من المشاعر

الحكايات، الرؤى

الأحلام الوردية

وحكايات حزن متجهمة

الملامح

غريبة القسمات

و كأنها قادمة من

أعماق غابة مجهولة

مسحورة.

ياللعجب

الدفاتر القديمة تروي

أساطير الحياة !

****

فراديس الحياة

يتذكر الأحداث منذ

مجيئه للحياة

بل منذ استيعابه لها يعاني

براءة بسماته ودمعاته

والآذان في فضاءاته

وحضن جدته

وأسفاره معها

والنخل المحلق في سمائه

ورفة الأطيار

ودعاء الكروان

وغناء القمري في صباحاته

طعم الخبز الطازج

والجري وراء فراشات الحقول

وإحصاء ضفادع البركة

والأحلام المتطايرة الخجلى

كم كان الصدى حيًا هناك

كم كان المدى براح

وأفقت

على أنياب الذئاب

الراصدة لفراديسي

وأفقت

والكلمات حيرى

في كراريسي

للطيبين فراديس

تنهشها مخالب المفسدين

كلمات حائرة الوصف !

****

أوتارُ الغيابِ

قد نمضي

تنكرنا المسافات

أتابع بصمت

قوافل أيامي الراحلات

تدوزن أوتار فكري يد الذكريات

تنبش على جدار قلبي "وحيد أنت"

وصمت الدروب ممات

_في الغياب

صمت يلتف

وأيام ترحل !

****

شمسٌ

بكل كبرياء تغادر

عشقها للأفق

بصمت

تذرف دماء الشفق عليه

بخجل تئن

شمس نبيلة.

من شمس الكون

تعلم أيها الإنسان

النبل والكبرياء !

****

أعرني مكانكَ ؟

يا هذا

أعرني مكانك

أعرني فضاءات للصراخ والصدى

وخرائط للأحزان

كتضاريس قلبي صعبة الاحتواء

ونبع زلال كطفولتي...

و رذاذ حبي

وآخر أجاج كدموعي المنهمرة دائمًا

أعرني مكانًا بلا طريق

كروحي المفقودة والباحثة

عن سبل العودة لي بلا جدوى

أعرني قاربًا يحملني لجزر الأحباب

سيكون حنيني وأنيني مجدافين

أعرني صخرة أقف عليها

لا يفتتها ثقل أحزاني و همسي لها

أو خطوات الزمن فوق جبيني

أعرني مرفأ للذاكرة، أقف عليه

وحيدة، حزينة، يدي ممددة

تتحسس السراب

وغيوم عينيّ تسابق غيوم السحاب

انهمارًا. .

أعرني مكانك

يا هذا...!!

-نداء

لا أحد يجيب

أعرني مكانك !

****

أبي

في الشوارع القديمة

يدًا بيد

أسير مع أبي

حين كنت أشعر بتأخري

عن المدرسة

كانت يده تربت علي

تحثني على التقدم

ومواصلة المسير

انتصف نهار عمري

تضخم حجم أقدامي

وكبر الحنين

ويدي مازالت عالقة

تلتمس أصداء يده

لمواصلة السعي

أبحث عن رائحة اللافندر

وكرمات العنب

وصوتك الحاني

وكلامك الأثير

غصة بالقلب أبي

في غيابك

تجرعت اليتم

والشيب الحزين

و انتصف نهار عمري

وتضخم حجم أقدامي

وكبر الحنين

ومازلت أميرتك الصغيرة

ومازالت يدي عالقة

تشعر بأصداء يدك

لمواصلة المسير.

في الشوارع العتيقة

أسير يدًا بيد مع أبي

رغم الغياب !

****

دورةُ حياةٍ

في طريق العودة من المدرسة

نحمل علبة أحذية كرتونية

مملوءة بدود القز

وأوراق التوت

لنضعها تحت الأسرة

يوميًا نتابع بفضول

ما يحدث في العلبة

نتوقف أيامًا

عندما يستسلم جسد

الدودة لخيوط الشرنقة

و أنتظر بفارغ الصبر رفيف

أجنحة الفراشات

وأنت يا رفيق الطفولة

مازال رفيف اسمك يطن بأذني

حتى بعد

أن استسلمت للشرنقة

وأنتظر بفارغ الصبر

أن تخرج ثانية

ومازال اسمك في ذاكرتي

كنصب تذكاري

كلما مررت عليه أنحني

وأقرأ الفاتحة

لعلك تحلق كفراشة

في حياة أفضل

وجنان أعلى

من الشرنقة

تخرج الفراشة

متى تخرج يا صديقي؟

****

أوراق

ليس سوى أوراق

تحمل شرودنا وصمتنا

نرمي إليها جروحنا

نتفنن في نقش ابتهالاتنا

نحن أكفنا مختزلة

في رسم يوميات مملة

نضع بسخاء ألوان قزح

يمتصها الحزن بنهم

ننسى...ثم ننسى

نتركها بيضاء

لا ينجب نسياننا غير

ذكريات مسننة

دامية التذكر

حاضرة بذات الأوراق

هي أوراق هي

ليس سوى أوراق

هي أوراق

تتناثر يوميًا

الحياة

****

حكايةُ وطنٍ

الأوطان لا تغرب تمامًا

مهما اغتربنا عنها

ولا تموت تمامًا

مهما قست ظروفها

ولكنها كالحب يتلاشى

بلطف شديد حينما

يفتقد الاهتمام من

أحد الأطراف أو كليهما

وبكلتا الحالتين تختلط

الأمور تمامًا وتتساوى

المتناقضات

في آن واحد

ويصعب الاختيار

و القرار وتتعارك

الأحاسيس وتتبلد

أو تتجمد

حتى ينبثق فجأة

كبركان أعياه الجمود

ألا ترى أن

أعماقنا مقابر

على الرصيف

غريب

يجالس ظله !

****

ثقوب

في جيوب الليل

بقايا أشعار وصور

وخيوط من ضوء القمر

نرتق بها ثغور الروح

وندس في كوة جدار البوح

همسات قلوب حائرة

نلملم بها بقايا جسد

نمدد وردة الصمت

على مقعد الذكرى

ذوتْ كحزننا

نقلب صفحات السنين.

في جيوب الليل

ثقوب منها تتسرب

الذكرى !

قلوبٌ حزينةٌ

ثمة ضوء أسود يشع

من القلوب الحزينة

ينبعث بريقها من حروف

أبجديتهم، فتتعارف بلا صوت

وتتصافح بلا أصابع

وتتهامس بلا حنجرة

قريب أنت بلاشك

أينما تكون

على جسر الأحزان

تتعانق القلوب

بلا جسد !

****

في عرسِ الليلِ

تبكي "يوحنا"

تبكي طفلًا لن يكبر

حتى يتعلم ألا يقتل

فداء الرقص

حتى يتعلم ألا يقتل

ثمنًا للعري

وعيون المخمورين

تحرق أوراق الغار

وأشجار الزيتون

في عرس الليل

أحفاد "سالومي"

مازالوا يتراقصون

في عرس الليل

يتراقصون ويثملون

على رؤوس المؤمنين !

أين عمري؟

أسوأ ما يمكن أن يحدث لك

هو أن تُنتزع من طفولتك

أن تستيقظ ذات صباح

لتفاجأ أن كل خلايا البراءة

في داخلك قد ماتت

قد دمرت!

مخلفات الحروب

طفولة تهاجر

ركام ذكريات !

****

أمتي

نامت أعين الجبناء

واستيقظت أطياف المكلومين

على أسلاك الورد

وأشواك الحناء

الليلة عيد للحرية

ومازلنا عبيدًا

تطوف الذكرى

ونعاني الغربة

الأدغال امتدت

و تسومين سوء الأغلال

منذ مائة عام

يموت مكلومون وتحيا أطيافهم

إلى متى يا أمتي ؟

****

أحقادٌ

ينحني الصفصاف للريح
لا ينكسر الغصن الندي
كلما أشهر ذئب نابه
حقدًا ومقتًا
تحول النهر لتماسيح
فولت كالخفافيش الذئاب

أحقاد دفينة
لا يستطيع الذئب إخفاءها
ظهور أنيابه ليست ابتسامة !

****

كيفَ أصبحتمْ ؟

قالت الأعرابُ :

آمنّا

ولم يؤمنوا

ساءت دعواهم

سبيلًا

فانفروا كي لا

تعودوا غرباء

فوق أراضيكم

شتاتًا غرماء

ضلّ من يتخذِ

الأعمى دليلًا

كيف ضعتم ؟

لم تكونوا لقطاء!

لم يكن شاعركم

أجوف مأجور الغناء

كانت الأيدي رجالًا

كانت الأقدام بحرًا

من دماء

وانتصرتم

فغدت طير

السلام شهداء

كيف أصبحتم

نواعير حزينة ؟

لا تصيخ السمع

إلا للطغاة

وعيونكم لا ترى

إلا الجباه؟

كيف ؟

****

حريةٌ

ذات وهم، حلمت بالحرية

كتبتها شعرًا

حلق خيالي عاليًا

هامت روحي خلفه

متحدية قضبان أضلعي

ارتفعا

ارتطما بسياج

القفص الكبير

الذي نعيش فيه

فهويا

أتحسس أضلعي

و البلد، ابتسم،

تذكرت الحقيقة

الشعر يكتب فقط

ثمة حرية

للأرواح الحبيسة

شعر فقط !

****

فوقَ السفنِ

أسافر عبر مرافئ

هذي العيون

التي اغرورقت بالحنين

لفراق العصافير

فوق السواقي

ومواويل الليل الطويل

يا نيل

يا ليل

يا عين

ويطلق النفير

يميل الشراع بنا

ويدق القدر

يسير الشجر

ويميل النخيل

تحت عبء الوداع الثقيل

النوارس تنقر أكتافنا

النوارس تنقر أكبادنا

والسماء سراب

والسحاب سراب

يضيع الزمان

يضيع المكان

لن نموت... لا

نحن الوطن

مسافر عبر الزمن

طيور البحر تلتهم الجسد

الروح ملك الوطن !

****

هجرةٌ

وأدركنا الليل والويل

بتنا غرباء يا قلب

بعد رحيل الفصول

بعد اختلاف الديار

وهذا الخريف المريب

عليل أنا

كإسفلت هذا الرصيف

الكئيب

الذي يحمل عبء السنين

و أنين الوطن

كصبارة فوق مقبرة الشهيد

تبث دخان الوحدة والعزلة

كوشم جواز السفر لمهاجر

وأطياف أحبابه تدور حوله

و تجهر الغربة بضحكة

صفراء مستعارة

وتخفي زرق النيوب

بعد رحيل الفصول

تلقفنا أنياب الغربة

هجرة وطن !

****

لا تخشَ

الأمواج المشئومة

تفصل بين الشطين

وأيدينا افترقت

وسواقينا غرقت

في بحر الصمت

عدنا للماضي

ما أشقانا

نحيا أوهامًا

اليوم الفاجع

الأمس الضائع

ونغني للبلوى

ونسيم الليل الأسير

غاصت أقدامنا في الأوهام

بلا خروج

استرحنا في الأوحال

بلا خروج

فقدنا سمع الرعود

ورؤية البروق المدوية

فوق جذوع النخل

صبي ...مآواه القبور

وأحضان بنات الهوى

جاء يبيع مدينتنا

في غفلة من الليل

لا تخشَ صديقي

لا تخشَ بأس القوم

دع الغناء الحزين

ولتتعانق أيدينا

وليلفظنا الموج

معًا ... معًا ...

معًا يا صديقي

لا نخشى المحن

فلنتحدى الطوفان !

تاريخٌ

هل سيحكي من أتوا بعدنا ؟

كما نحكي عما قبلنا

عن غوايات تتآمر بنا؟

كل ذي وجه مريب يؤتمن فينا

ونقذف بالرماد وجه الأمين فينا

ويداري كل مريد عنيد

ويرمى بالدنايا من بالعهود يوفى لنا

دروس التاريخ

نتحدث عما سبقونا بما يحدث لنا

لماذا لا نأخذ عبرة ؟

****

كفاحٌ

لاح الفجر بعد كفاح

مع ليل ثقيل كئيب

أُغرقنا فيه بلا ذنب

أو مقاومة حتى فعل البحث

عن قشة الغريق لم نفعل؛

فقط قلب يعتصر ألمًا وأملًا

لاح الفجر بعد كفاح

مع أفكار كثيرة كئيبة

أغرقتنا عن إصرار وترصد

لمدة عقود طويلة من الإظلام

والتضليل وتغييب

منهجية العقل

لم نناقش يومًا لماذا؟

وكيف ؟

فقط استنكار أبكم

وصبر عقيم

لاح الفجر بعد كفاح

مع النفس التي اعتادت

الصمت طويلًا

في أوقات الكلام

واعتادت الصبر

في أوقات الغضب

واعتادت الندم

و التباكي والتحسر

واعتادت الموت

قبل الموت خوفًا

من الموت

لاح الفجر فحمدًا

وذكرًا وأملًا

وقلوب محتسبة

صابرة متضامنة معًا

في كفاح حتى الإشراق

عتمة كثيفة

ننتظر الفجر بتوجس

لابد من الشروق !

****

غربةُ روحٍ

تداعتِ النوائبُ

من كلّ صوبٍ

محاولاتٌ يائسةٌ لرأبِ

الصدعِ ولملمةِ الجروحِ

تذكرُ الماضي القريبِ

أيادي الأخوةِ الحانيةِ

الملتفةِ معًا كانتْ ترياقًا

قبلَ أنْ تصبحَ طعناتٍ

للقلبِ وتكثرُ الشروخُ

وتبعدُ المسافاتُ

ويزدادُ السرابُ

أينبتُ القلبُ أملًا ؟

أيرتوي الجسدُ

المتصحرُ قربًا ؟

أتنقشعُ ظلالُ الفرقةِ

وتجلو أشباحُ الضغينةِ ؟

أتنجلي خفافيشُ

استعمرتْ أخاديدَ

الحزنِ في وجوهِنا

وحفائرِ الغربةِ

والشتاتِ بأرواحِنا ؟

تزدادُ الغربةُ

و تبعدُ المسافاتُ

أتنجلي الأحزانُ ؟

هيهاتَ هيهاتَ !

****

موعدٌ

تواعدنا، أتت عقارب

الساعة في الموعد

ظللت أراقب

حركتها بتوجس

في الموعد

أراقب عقارب الساعة

لديغ الانتظار !

****

الطوفانُ

لم أجرِ مثل النهر

لم أمنح الكلام قبة

لم أمنح الشذى لونًا

لم أكتب القصيدة التي

وراءها أدور

والتي وراءها تبحث العيون

لم أسبق صفير الريح

لم أحرر الطيور من أقفاصها

التي رسمت لها في الدفاتر

لم أصر ريحًا تصرصر عاتية

تزحزح المدينة التي لا تذكر

الذين في أحشائها مروا

ولا الذين كالظلام المخيم على أرجائها

والذين وسوسوا وعبدوا الحجر بها

أنا من الذين صدقوا النبوءة

ودعوا ربهم أنهم مغلوبون

والذين جمعوا الألواح والدسر

ليبنوا السفين

بعد ألفين من السنين

مازلت أدعو

و مازالوا بثيابهم مستغشيين

و مازالوا مستهزئين

و للألواح حارقين

مازالوا مكذبين

و مازال يتبعهم الغاوون

يتطاولون في الأبنية

وللجبال ناحتين

ظانين أنهم من الطوفان محصنون

ومن تبعهم أصابعهم في آذانهم

واضعين ضاحكين

وهناك في الرمال لرؤوسهم دافنين

نسمع صوت الطوفان أيها المرجفون

ها هو

على بعد قرية أو أدنى

لقد جاء الطوفان

ولم يأت نوحٍ ولم تبنَ السفين

دعوات المظلومين

تطفو فوق الطوفان

لا أحد يبالي !

****

الفقرُ

سئمنا من هباء المعاني

في خطابات العزاء

سئمنا من أبواق الأماني

في محافل الرياء

يا هؤلاء

نحن الفقراء

نحن من أوصى بنا الأنبياء

نحن نتاج جشع وقسوة الأغنياء

و فساد الإنسانية

و انهزام الحكماء

يحلو للساسة تلقيبنا بالدهماء

عجبًا

لا تكفيهم قصورهم

فيسعون لسحب الثرى

من تحت أرجلنا

لا تكفيهم أموالهم

فيسعون لسحب

نسيج جيوبنا

لا تكفيهم دماؤهم

فيسعون لسحب

ما تبقى في عروقنا

وا عجبًا

أكثر ما يجودون به

الفقر، الأوبئة، والحروب

يستكثرون أعدادنا

ألا يستكثرون نهبنا ؟

الفقر وباء

ينشره الأغنياء على العامة

تبًا لهم يموتون به !

****

متهمٌ أنا

ولدنا كي نغالب مسار الميلاد

لم نعلم أمغامرة هي الحياة أم

الندم كان دربنا ؟

أأضحوكة الزمان والمكان

أم كي تستل دمعنا ؟

لم يكن لنا يد في اختيار الطريق

ولا إشعال الحريق في ساحات قلوبنا

لا يد لنا..

ولدنا والضجر من الحياة رفيقنا

لم نعلم أنحن الخضوع أم نحن الدروع.

أم نحارب جلودنا ؟

متهم أنا حتى تثبت إدانتي

متهم أنا..

لأني ولدت هنا !

هنا وهناك

أفتقد نفسي

البحث عنها جريمة!

****

كيف ننسى ؟

كيف ننسى وقد زرعوا

الجروح مكان الندى ؟

و أمل يومنا انتحر

وسئمنا الغد غدا

ويأسنا أمامنا ممددا

أنحن ضعاف

أم القلب ما اهتدى ؟

بلى..نحن أشداء

لكن السيف اتخذ

من قلوبنا مرقدا

يحيا منها ..يرقص فيها

ولا يخجل من دموعنا المبددة

فكيف النسيان

إن غرست الذكرى

في جدار القلب

كأشهاد قبور ممددة ؟

بلا نسيان

لا يندمل

نزيف السنين !

****

لن أكونَ أسيراً للأشياءِ

سأحرر نفسي من قيد الأهواء

هذا ابتداؤك يا حياة من مواجع

عالمان من المشاعر

فبشدة القرب تخبو جذوة الحب

وتبهت لهفة الأشواق كثرة الغياب

والغربة وفي القلب وطن قاسية

والأكثر قسوة غربة الإنسان

في الأوطان

لكل شيء آفة إلا تقوى الله

هل يكفي يا ألم المدى للحرف

بهاء؟

بالتقوى ستعلو حروفي

هكذا ستنبت لي أجنحة حرة

سأطير بالفضاء

بلا أجنحة

تعلو الهمم

بالتقوى !

****

حالةُ انتظارٍ

تعاقبت عليه فصول السنة

واختلافات المناخ

الليل و النهار

ومراحل عمره ولا يبرح

موقعه يستند لجذع

شجرة يابسة

فوق حافة العالم وحيدًا

يدخن غليونه في

صبر وتأمل

تماهى مع جذع الشجرة

تبرعمت جذورها

بمكنونات صبره

والأمل في حضور

مواسم الأمنيات المؤجلة

والأحلام البعيدة

وبلا ملل سيبقى

عاشق في حالة انتظار

فصول السنة أربعة

تتعاقب جميعًا دونك

أيناك فصلي

الخامس !

****

في المرآةِ

وقفت أحدق بالتفاصيل التي

قد أهملتها زمنًا طويلًا

حقيقي لا أعرفني

فأنا لا أشبه تلك الفتاة التي كنتها يومًا

عيناي يتضاءل اتساعها

صارت تخفي أطوادًا من الدموع

حولها هالات من الذكريات الغامقة

جبهتي المزدانة بأخاديد غائرة للوقت

لوني الذي صار خليطًا للألوان

وفقا للأحداث

صدقًا لا أعرفني !

-أمي تسألني؛

ما هذا الحزن؟

لا شيء....

أنا لا أعرفني!

و أنا

كورقة تشق مسافات

السقوط بصمت

وهنت أطراف تشبثي

بالغصن

وجفت

بلا مبالاة نفضتني

رياح الخريف

وذهبت

ملقاة على قارعة الوحدة

وعيني

بكت

يتراكم غبار الذكريات

فوق رأسي

وتكدست

عبرتني غيمات

ثقال قريبة

وما هطلت

جاء الشتاء

بأعاصيره

وهبت

تقتلعني بدوامات

الألم والحيرة

وما رست

إلا في أرض المنافي

والبعاد

وما قربت

أقدام الزمن

وطئت الأنين

وما رقت

في مهب الريح

ورقة وحيدة تتشبث

بغصن عارٍ!

في الخريف

يحمل الريح الأوراق

لمثواها الأخير!

****

مطاردةٌ

طريق طويل ومصابيح

مطفأة

ليل ساكن وهو يركض

أدلف لطريق جانبي

خطواته تتابعني

أقف..أنفاسه تلاحقني

أتلفت حولي لا أراه

متيقنًا بأنه يراني، أركض

حتى انقطاع النفس

أسمع طنين لهاثه بأذني

وصدى نبضاته تزلزلني

استجمعت قواي

واجهته

أأنت ظلي أم عدو

يتربص بي ؟

ساخرًا..لم يرد

متى يولد الصباح

ليفصل بيني

وبينك؟

في عتمةِ الليل

أركض خائفة

ظلي يتبعني !

****

في بيتِ المرايا

في مدينة الملاهي

ندخل معًا

لترى نفسك أطول من نخلة أبيك

وتراني بجانبك قصيرة محدبة

يجب أحيانًا أن نرى أنفسنا

في مرايا مختلفة وعيون مختلفة

بلا شك

سنضحك كثيرا، وسيعرف كل منا

أن الآخر يحمل فوق ظهره

طفلًا أحزنه الكبر

ورتابة المرايا

انطوى على نفسه في انتظار

أن ينطلق ويطلق الضحكات

في بيت المرايا

في مدينة الملاهي

في بيت المرايا

ضحكات تتصاعد

تشوهات مؤقتة !

****

بلا أمل

ذات عناد

ألقيت مرساتك

أطلقت أشرعتك

و تركتني وحيدة

على وتر حزين

أعزف أنغام الانتظار

أرنو للأفق البعيد

أروم للقاء مستحيل

ترافقني رسائلي

التي لن تصل لك أبدًا

ولن تعلم ما بها أبدًا

تكفلت الأمواج في غضب

وصدود بردها لي

ومحو حروفها ودموعي

وخفق قلبي على آخر وتر

بحذر خشية الزمن

والعواصف والأنواء

تسير الغيمات نحو الأفق

لتعانق أشرعتك المتباعدة

في هدوء وثبات وإصرار

بلا التفات

وأظل شاخصة نحوك

في انتظار

بلا توقف و بلا أمل

في كل ميناء

شراع يمزقه الريح

وانتظار من لا يأتي !

****

في الغربةِ

نصنع طرقًا موازية للسير

مليئة بالوجوه، والعتب

والحوارات الصامتة

كأن جزءًا من حياة أخرى

قد دس عمدًا بين طيات

حياتك، ويظل غريبا عنك.

تنتقل بالغربة وتحولها

إلى مسافات و خطى.

كل ما نحاول أن نخفيه

تفضحه طرق سيرنا في الشوارع

نطوي الشوارع كحقيبة بكاء

ككتاب مللنا من تقليب صفحاته

الكثير من التعليقات الغامضة

ساعات من الذهول، الحيرة

التلفت المزمن يمينًا ويسارًا

وأحيانًا البكاء.

حتى الطرق

لا تنصت للحديث

في الغربة !

****

عتابٌ

يااا...

كيف تعلم الحقيقة كلها

وترتضي أن تعيش

في السراب؟

كيف تملك الأمور

بيد قيد أغلال الخداع

كيف تلاحق الأمواج

و تحارب المسافات

وتتركني فريسة الانتظار

كيف تبعد عن قلب

أضناه شوق والتياع

يااا...

كم رأيت الحلم؛

ولم أفسره

ثم عشت كما تريد الأيام

جاء المشيب ليفسره

وتجسده أنت بالبعاد

كم من لحظة عشناها؛

تمنينا أن تتوقف عمرًا؛

فمرت..

كما مررت خلف أذيال الخذلان

كم عمرًا يلزمك

كي تستفيق من غفوتك؟

لتعيد ما سلبته الأيام!

في انتظار الاستفاقة

سنوات تمضي سدى

كيفك أنت؟

****

ذريعةُ للألمِ

نخبئ الألم داخلنا

ننتظر رعودًا وبرقًا و مطرًا

ننتظر جرحًا وصخبًا

لنصرخ وتنهمر الدموع داخله

ونصرخ

ما أسوأ أن يكون الحب

ذريعة للبكاء

ألمًا وحزنًا وجرحًا

ولكنه أحيانا رثاء.

رعد وبرق ومطر

أتراقص و الذكريات

كطير ذبيح !

****

ماءٌ ثم بخارٌ

إن هذا العمر نهر

نحن فيه مثل ماء

إن تدفق، فاض، سال

في طريقه للفناء

إن مسكته يتسرب

إن تركته صار هباء

انثر الحب بذورًا في طريقه

يحتويك بعبيره

حين بخر للسماء

ما بين ماء

ثم بخار

ينفذ الزمن

ما أقصر

المشوار !

غريبةٌ

هي الدنيا

تجمعنا باشخاص

يتركون وصمة سوداء

في حياتنا

نتمنى لو أننا ما

عرفناهم يومًا

وأحيانًا أخرى تجمعنا

بأشخاص يتركون

الياسمين على صحراء

أيامنا

نتمنى لو أننا ما عشنا

عمرنا العابر دونهم

هي الأقدار لا نملك أمامها

إلا أن نقول :

" قدر الله وما شاء فعل "

الأقدار مراكب تحملنا

لا نعرف أين

سترسو بنا

فوق مركب الأقدار

لا نختار

الوصول لبر أم نغرق !

****

اغتراب روح

تنسلخ أجسادنا

عن المكان

يبدو لنا الوقت أعرج

بلا طريق

بلا زمن

بلا دقات

كالدخول إلي فقاعة

هوائية كبيرة

تتلاعب بها ريح هوجاء

نحيا داخلها كحياة

من أبكاهم القدر

ومن أضحكتهم الأوجاع

ومن سخرت

منهم أنفسهم.

تسافر الروح خالية

الجيوب بلا حقائب

وتعود خاوية القد

كسراب

لِمَ سافرت

لمَ عادت

من الذي يجد

الجواب؟

ذهابًا و إيابًا

بلا روح

نغترب

****

بعادٌ

ذوت أزهار الانتظار

في بستان صبري

واجتثت سنابل الأمل بلقاء قريب

واتسعت المسافات الزمنية

و الحدود المكانية

بمعول الحاسدين وألسنتهم

ثم لم تعد دموعي وحدها كافية

لتروي أوراق ورودنا؛

فأصبحت هشيمًا تذروه الرياح.

على نافذة الانتظار

وردة تذوي

طال الغياب !

****

ضوء عابر

كانثناءات الضوء

فوق أغصان شجرة

من الشروق للغروب

نتأجج معًا ثم نخبو رمادًا

كظلال

نعبر الزمن

معًا .. معًا

نتأجج ثم نخبو

كظلال عابرة !

****

كطفلةٍ

مازلت أبحث في الحجرات

أسأل كل شيء عنك

أتعبني سؤالي

مازلت أسأل كل حرف

طاف في رأسي

أرقني

حلق في خيالي

في كل شيء أبحث

في ضعفي

في خوفي...وابتهالي

فمتى ستنبت؟

بين الثرى زهرًا وعشبًا

وبأي جزء في سماء الكون؟

سوف تصير سحبًا

وبأي أرض سوف تشرق

نورًا وفجرًا ؟

وبأي نهر في بلاد الله

تسري بالرحيق

وتملا الأرجاء خصبًا

رغم ابتعاد مكاننا

في كل نبضة بالجوانح

لم أزل أخفيك قلبًا

مازلت في عيني الحزينة

يا أمي....الدمعة

الأموات

يصعدون للسماء

ويهطلون كدمع

****

الوترُ الحزينُ

صوتك يجرح غشاء الريح

يلسع الكرى

يكسر الصبرا

مثلك يئن عبق البنفسج

نعتق دموعنا

تطوف أجسادنا

تتراقص و ظلال قاتمة

تتزاحم الأسماء

تتساقط كفراشات

تحوم حول لهيب النغم

نغمض الجفون

تتراءى الذكريات

تهوى الأحلام أرضا

تتلاشى

تمر اللحظات سريعًا

ينتهي اللحن

ومازال الوتر يتردد حزينًا

كأوراق الخريف

تتساقط الأحلام

على أنغام الذكريات !

****

غريبٌ

على ضفاف الكون

أمشي كما لا أشاء

قد شئت قصيدة

وحبًا فريدًا

ولحن الضياء

وعزف السماء

وشيئًا جميلًا بغير انتهاء

فماذا وجدت؟

أمورًا عديدة

وحزنًا عنيدًا

وسهرًا طويلًا

بغير اشتهاء

و غريب أمشي

كما لا أشاء

على ضفة الكون

يلفظني الطريق

غريب!

****

غرقٌ

في أول الرحلة لم تقاوم

مراكبنا النوة

ألقينا بالمجاديف

انحرفت إلى ساحل الفقد

عكس ما كنا نحلم

حاولنا رتق الوجع

واتزان الدفة

فصعقتنا الخيبة

أدركنا أن مراكبنا ورقية

استسلمنا للغرق

على ساحل الفقد

تاهت مراكبنا

هل يعيد البحر

ما غرق ؟

لا مناصَ

حل شتاؤه

احدودبت قامته

هاجرت سنواته أسرابًا

يحدوه الأمل خوفًا و طمعًا

يعكس خطاه مراوغًا الزمن

تحجرت ساعته

على شاطئ الحقيقة

على شاطئ الحقيقة

يراوغ الزمن

لا مناص

****

نظرةٌ

نظرت إليه

مسجى في صندوقه

الخشبي

خمسة وعشرون عامًا معًا

عشر سنوات

في مشاكل زوجية

لهيمنة كل منهما على الآخر

دون طائل

عشر سنوات في تربية الأولاد

والسعي لتلبية رغباتهم

واحتياجاتهم

فهما لهم عائل

خمس سنوات بجانبه

أثناء معاناته في

مرضه الأخير

تلك حياتها

ألتلك السنون عودة ؟

كلمح البصر

يمضي العمر ونمضي

هذا هو القدر!

****

وداعٌ

لا أجيد الوداع

فالرحيل يفرغني من الكلمات

يتيبس لساني بفمي

تتحجر الدموع بالمآقي

تنسدل عباءات ليل

كثيف العتمة

أأبحث عنك

عن طيفك حولي ؟

تبًا؛

يبدأ البحث

حين يسود الفقد

حين وداع

أهامس الحجر

يتشقق كربًا !

عتاب الأحبة

حين أكون وحيدًا دونك

أجد البحر بيداء

والأرض سراب

عودي..

كي يعبر الغيم الفضاء

كي تعود الجدران للأبواب

أنت نبض قلبي

فقلبي مقياس لبعدك والاقتراب

أحب في عينيك بريقهما

فزيديني فيهما تيهًا واغتراب

يا من بات فراقها لا يطاق

كفى. ..

فدفاتري تعاني من شوق واحتراق

عتاب الأحبة

قصائد وحروف

تئن الدفاتر !

مغتربة الروح

حين تجلس وحيدًا

وتبكي وحيدًا

وتتألم وحيدًا

حيت تجف الدموع على وجنتيك فتصبح كالورقة مبتلة ومجعدة ثم بالية مرهقة

حين تقف الكلمات كغصة ألم بحلقك

حين تشعر أن الحياة

لا تهديك إلا الأوجاع

أو لا شيء

حين تكتب عن ألمك

للغرباء

فقط

علك تجد من يأبه لأمرك

فإنك قد اغتربت

وبعدت روحك عما تهوى !

أيها العابرون بقلبي

ألقوا سلامًا

مغتربة الروح !

****

على الحافةِ

تصحرت أيامه

توشح ليلًا سرمديًا

تثاقلت أقدام النوائب

فوق كاهليه

على حافة الفناء

راودته أصداء كلمة

في رسالة ليتمسك

بالحياة.

من الهاوية

يعود الأمل

بكلمة !

****

عابرُ سبيلٍ

أيها الواقف على

ناصية الذكرى

وحدك

لا تقف

لا تكابد عناء الغياب

لا تنظر لتعبر أمامك

قطارات الزمن

فلتمتطِ حلمك الجموح

قبل مغيب الشوق

وتعبر

على ناصية الذكرى

أقف وحدي

أحلام عابرة !

****

جفاءٌ

تجف المشاعر

وتذبل القلوب

وتتهاوى مترنحة

كأوراق الخريف

و تأتي ريح الغضب

كريح الخريف

لا تعالج بل تبدد

وتمحو الأثر

ويأتي الشتاء

والنسيان

وتتساقط

قطرات المطر

فهل يروي المطر

جفاف الورق

أو يعيد ما تهاوى

وهوى

مع الريح

لا تذهب سوى

الأوراق الجافة

****

مسافرٌ

لم يضئ الليل

بقناديله

ولم تعد بسمته

وطنًا براح

كانت أنامله

وريشته الجميلة

نورًا

كانت في دياجير الليل

تظهر سكوت البلابل

عن الكلام المباح

كانت قصائده

ساهدة مثلنا

طوال الليل

تنتظر أن يأتي

الصباح

كان عاشقًا نبيلًا

يهفو لغناء اليمام

يمحو عن مدامعه

الألم والجراح

****

شفرَةُ ألحانِ الخريفِ

كعادتي في غيابك

أحاول أن أجمع شتات نفسي

فأجلس وحيدة إلى تلك النافذة

أحتسي بقايا غربتي

وأخبئ دمعًا متمردًا

أنتظرك بصمت وصبر.

وحيدة

أتأمل الأفق،

في انتظار

ميلاد ضوء يوم جديد

غيم شفيف يتحرك بشقاوة طفولية

يظلل وجه شمس خجلى، ينكسر شعاعها فوق الأغصان المنتشية المتهادية

برفق وحبور واضح وغير معتاد

ثمة رائحة بخور ولحاء الأشجار

وعطور تنفذ بالمكان.

ثمة نغمات ورنيم سماوي يتردد بهدوء بين جنبات الكون

حتى أجنحة الطيور مرنمات بإيقاع بهيج

يخال لي كأنه طقوس حفل تتويج ملكي غير مسبوق

يا للروعة والجمال

طقوس سحرية

تنتشي الأجواء

بعبق الطبيعة

تلك الشجرة الباسقة المتأنقة

بألوان الخريف الوقورة الباهرة

تقف في شموخ وكبرياء

محاطة بشجيرات جميلات

كأميرة بين وصيفاتها

ما هذا..!!

يا لهول ما أرى..!!

اصطف كل شيء في هيبة واستعداد

حتى الطيور

حتى النغمات البهيجة فجأة

تحولت كأبواق نحاسية وأصداء

خشبية أجشة الصوت

وكأنها سيمفونية " التوكاتا" ل "باخ" !!

أاستلهم " باخ" تلك النغمات

من هذا الموقف من الكون ؟

أكان يتأمل من نافذة فترجمه نغمًا ؟

يا للموسيقيين !

يا للبهاء !

يتصاعد النغم، تنتشي الطير

والشجر والحجر!

هاهو يختال باسمًا الفارس النبيل

والأمير الوسيم الذي لا يشق له عباب

ولا ينتقصه رونق وخيلاء!

ها هو نسيم سبتمبر بكامل الروعة والأناقة، يراود أنفاس العطر والرياحين

رائحة نبضه تتخلل مسامات الكون، منعشًا، حنون!

يتماهى السحاب وحفيف الشجر لعزف السماء بلحن جديد؛ أخاله سيمفونية " "الخريف" ل " شوبان"..

سيمفونية

يتقدم النسيم

موكب ملكي

وبعيونه الآسرة يرى الأميرة الفاتنة

ولم تفلتها عيناه

وكأنه عثر على مبتغاه، تقدم بخطوات واثقة، وبسمات حالمة

وأمامها تحديدًا، انحنى بكل ما أوتي من احترام وتبجيل لحضرة

الجمال، أشرق وجهها بخجل، واعتلى أوراقها حمرة الوداعة، مد يده في

استجداء ورجاء ليراقصها!

أومأت موافقة بحياء!

مدت يدها لأنامله، فلثمها بشفاه عاشق ولهان...

تغيرت نغمات الكون لهما، عزف

الكون نغمًا حالمًا " فور إليزا" ل"بيتهوفن"!!

بلا أقدام

يتراقصون " الفالس"

بألحان الكون!

والشجرات الوصيفات يتراقصن مبتهجات، والطيور، والغيمات،
وجدول الماء يترقرق كقيثارة النسيم!

أقسم أن جميع الموسيقيين استوحوا سيفونياتهم من هذا المشهد
الرائع.

إنهم فقط أبدعوا في الإنصات و التأمل،

-لو كان لي موهبة كتابة النغم..

لكتبت أعظم السيمفونيات وأكملها.

كاملة..كاملة

سيمفونية الخريف

نسيم وحفيف!

تداعت الشمس مرغمة، فقد آن المساء

ولم تفتر نغمات ولا توقفت رقصات!

واستدعى المساء القمر،فازداد إيقاع ضوئه الحماسية، وبريق
النجوم زادت الإثارة!

تغير الإيقاع والرقصات " "سالسا" و" تانجو"..

وازداد الصخب وابتهج السهر،

واستسلمت الأميرة لعناق النسيم

وكل الوجود يساير فرحتهما

ويدوزن أوتاره على نبضهما وضحكتهما..

والأمير الوسيم يقبل جبين أميرته

ويمشط شعرها المسترسل بأنامله

في سعادة ونشوة.

وتعالت الصيحات والضحكات والنغمات والرقصات.

في الليل

تزداد البهجة

باللقاء

وفي ساعة السحر

فجأة

هبت تلك الشمطاء العبوس الحقود،

باردة كالثلج، موحشة كقلب حقود، مريبة كعدو، قاسية كحجر صوان، ريح الشتاء العجوز فرقت بين الأحباب!

فأزاحت "نسيم" بعيدًا، شتّتَتْه

في الاتجاهات الأربعة في الكون الفسيح!

وأقلعت الطيور مهاجرة ناحبة!

واسودت الغيمات غضبًا وأسفًا

وتبلدت في الآفاق وجومًا وحزنًا

وتوارى خسوفًا وجه القمر!

أفلت النجوم كي لا ترى ذاك الهجوم

زمهرت متوعدة الأميرة ببعد وفراق النسيم، وتركتها شعثاء،

وبددت صرخاتها بين الأرجاء،

ترتجف، وقد خلعت مهجتها وبهجتها

كأنها سيمفونية" ضربة القدر" "لبيتهوفن" !

لكل شيء نهاية

يجتث الحقد

السعادة!

وتركت القتامة والعتامة على الجو، وأطلقت صريرها ونعيبها بالمكان ضاحكة كساحرة ماكرة!

مرت ساعات وساعات،

من النحيب والبكاء والنداء..!

بح صوت الشجر

ثم أطرق في شموخ وثبات،

يلقم جراحه بالصبر والخشوع،

يعتصر آلامه بداخله، ويستجمع

أبجدية الحنين الحارقة بداخله

تلك سيمفونية "بيتهوفن " "السكون"..

وحده صوت أنين القلوب و الخشب!

يقول "نزار" :

بين فصلي الخريف والشتاء

فصل البكاء

ولم يذكر السبب

نعم، فصل البكاء حين يفترق الأحباء

فراق ليس عن هوى وإنما امتثالًا للأنواء!

بين الفصول

تضيع المشاعر

مع الريح

تطلق الأميرة أوراقها الخضراء

كالفراشات في أثره..

رسائل للأماني والأحلام

وتركت على غصنها فقط ثلاث

وريقات كتبت عليهن

-ستعود حتمًا لتمسح ما رسمته أكف الضجر

-ستعود حتمًا

-ستعود!

وأهرقت أوراقها الحمراء النازفة بالشوق والجوى والالتياع

-سأنتظرك

لا تطل الغياب

وتتركني وحيدة

لصقيع الشتاء

وليالي طويلة

وهمس السحاب

في سماء بعيدة

والكون يباب

قد رحل معك

دفء الشموس

وهمس الطيور

ورائحة الزهور

ووجه القمر

لا تطل السفر

فغدًا سيأتي المطر

سأستعيد همساتك

لأحيا عليها

نرقص معًا تحت المطر

ونثرت أوراقها الصفراء

حولها وفي كل الأرجاء

بها مخاوفها وتمردها

-خوفها من اختلاف الفصول

ولا يستكينُ الحنين،

ويعود الخريف ولا يعود النسيم مع وجه القمر

تجردت وصمتت

ترجم "موزارت " تلك الحالة

بسيمفونية " غموض الأشجار"!!

قاتمة هي الأحزان

تلتف بالصمت

سوداء سوداء

****

محتويات الكتاب

تم بحمد اللّه




ديوان العرب
للنشر و التوزيع